مقدمة

تصاعدت أهمية قضية «انتشار السلاح النووى في العالم فى السياسات العالمية بصفة عامة وفى الشرق الأوسط بصفة خاصة ـ بشكل غير مسبوق مع بداية القرن الحادى والعشرين، وتحديدا فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر، حيث قرن الخطاب الأمريكى عقب تلك الأحداث بين الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل باعتبارهما هما مزدوجا أو قل عدوا ذا وجهين يهدد ليس فقط الولايات المتحدة ولكن الحضارة الإنسانية فى مجملها، ومن ثم فقد اعتبرت أن المعركة ضد هذا العدو هى معركة الحضارة، إنها معركة قوى الخير ضد قوى الشر. وأكدت عالمية هذه الحرب فهى حرب حضارية عالمية ستشارك فيها دول العالم المختلفة إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأن المعرض للتهديد ليس فقط المصالح الأمريكية بل هى الحضارة بمعناها الواسع، وأكدت الولايات المتحدة أن الأخطار المشتركة تعمل على توحيد الدول والعمل على توليد قيم مشتركة بينها رغم ما بينها من اختلافات لمواجهة هذا الخطر.

إذن جاء الربط بين الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، وتم وضع أسس العمل المستقبلى للحرب ضد الإرهاب على أساس توسيع نطاقها لتشمل محاربة الجماعات والدول التى تسعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل.

وقد حددت الولايات المتحدة الأمريكية دول محور الشر: كوريا الشمالية وإيران والعراق باعتبارها دولا ترعى الإرهاب وتهدد الولايات المتحدة وأصدقاءها بأسلحة الدمار الشامل، وبالتالى جسدت منطقة الشرق الأوسط بؤرة للتفاعلات الدولية والإقليمية حول هذه القضية. وبالفعل بدأت الولايات المتحدة شن حربها ضد العراق ـ خارج إطار الشرعية الدولية ـ بزعم امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل، واتجهت بعد ذلك نحو تهديد إيران ولوحت باستخدام القوة العسكرية ضدها وحاولت ـ ولا تزال ـ

استصدار قرار من مجلس الأمن لفرض عقوبات مشددة ضد إيران، إلى جانب تسريبات عديدة بشأن توجيه إسرائيل لضربة عسكرية ضدها، وذلك فى الوقت الذى اعتمدت فيه الدبلوماسية كأداة وحيدة للتعامل مع المشكلة الكورية، والتى أفضت فى النهاية إلى إعلان كوريا الشمالية تفجير قنبلتها النووية الأولى لتؤكد انضمامها رسميا للنادى النووى الدولى.

على الجانب الآخر من المشهد النووى بمنطقة الشرق الأوسط نجد الآتى:

- استمرار انتهاج إسرائيل لسياسة الغموض النووى، رغم وجود العديد من المؤشرات التى تصل إلى حد التأكيد، والتى تشير إلى امتلاك إسرائيل واحتكارها لترسانة ضخمة وخطيرة من السلاح النووى والتى تخلق وضعا من الخلل الشديد والخطير فى المنطقة بما يفرغ مفهوم «السلام» من أى مضمون له، وبما يعرض المنطقة كلها للخطر، فلا يمكن افتراض حسن النوايا والرشد والعقلانية لدى إسرائيل برغم ديمقراطيتها. وأنها لن تستخدم سلاحها النووى - إن لم يكن استخداما فعليا - فعلى أقل تقدير استخداماً تهديديّا (ردعا - وإجبارا).

وعلى الرغم من ذلك نجد أن هناك عجزاً من قبل المجتمع الدولى حتى عن دعوة إسرائيل للانضمام إلى المعاهدات الدولية المتعلقة بعدم الانتشار أو لنقل بصورة أكثر وضوحًا تواطؤاً دوليا للإبقاء على البرنامج النووى الإسرائيلى بل وتنميته وتطويره.

وليكتمل هذا المشهد النووى بالمنطقة بالعجز العربى عن امتلاك رادع نووى عربى ليس هذا فحسب بل عن تطوير برامج نووية ولو للاستخدام السلمى وإذا كانت قد وجدت بعض المحاولات المحدودة من جانب بعض الدول فى اتجاه تطوير برامج نووية مثل المحاولات الليبية والجزائرية والسعودية، فإن هذه المحاولات كانت محدودة للغاية ولم تسفر عن شىء جدى، أما مصر فعلى الرغم من أن اتجاهها نحو تطوير برنامج نووى قد بدأ منذ الخمسينيات فإنه وحتى الآن لم تتمكن من تحقيق إنجاز على هذا الصعيد، حتى تمت إثارة القضية مؤخرا على مستوى الحزب الوطنى، وبدعوة من جمال مبارك رئيس لجنة السياسات بالحزب.

وتتقدم الباحثة بهذا الجهد البحثى المتواضع كمحاولة لسبر غور هذا المشهد النووى فى منطقة الشرق الأوسط بالتأريخ له ووصفه وتفسيره ومحاولة الإلمام بأبعاده المختلفة،

واستشراف مستقبله أو على الأقل التساؤل حوله، ليقدم للقارئ العربى والمسلم فى كل مكان صورة مكتملة قدر الإمكان حول هذا المشهد بلغة أرادت أن تكون سهلة خالية من التعقيدات والتفاصيل الفنية والسياسية والعسكرية الدقيقة والتى قد لا تكون مفهومة بالنسبة للكثيرين؛ بغية تحقيق فهم أوسع وإدراك أشمل بأبعاد هذه القضية الحيوية والمؤثرة على واقع ومستقبل منطقتنا العربية والإسلامية والدافعة والمحركة لكثير من الأحداث الإقليمية والعالمية.

وسوف تركز الدراسة على الوضع النووى فى كل من إسرائيل والعراق وإيران ومصر، وإن كانت الدراسة تنطلق من محاولة لتوضيح أبعاد قضية «منع الانتشار النووى». كيف بدأت وإلام انتهت؟ ما هى أهم المحطات التى مرت بها؟.

ومن المعروف أن مشكلة الانتشار مقصود بها انتشار الأسلحة الذرية، والتى ترجع جذورها إلى ضرب اليابان بأول قنبلة ذرية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. فكيف تحولت الولايات المتحدة الأمريكية من الاستخدام الفعلى للسلاح النووى إلى بذل الجهود لمحاولة منع انتشاره؟

ـ الأسئلة البحثية الرئيسية:

على ضوء ما تقدم من تحديد لأبعاد القضية والهدف من تناولها يمكن وضع عدد من الأسئلة البحثية التى يمكن أن تمثل محاور أساسية للدراسة، والتى يمكن رصدها فى مجموعات على النحو التالى:

١ ـ متى برزت الثورة النووية؟ وكيف تم لجوء الولايات المتحدة الأمريكية لاستخدام السلاح النووى لأول مرة فى التاريخ ضد اليابان؟ وما هى المبررات التى تساق لذلك؟ وما هى الخسائر التى ترتبت على هذا الاستخدام؟ ولماذا لم تمنع الديمقراطية التى تنعم بها الولايات المتحدة من استخدام هذا السلاح المدمر؟ وكيف تحولت الولايات المتحدة بعد ذلك نحو تبوؤ مكان المدافع الأول «عن منع الانتشار»؟ وكيف تطورت قضية منع الانتشار منذ الخمسينيات وحتى الآن؟ وماذا عن دور وكالة الطاقة الدولية فى هذا الشأن؟ وماذا عن معاهدة منع الانتشار النووى؟ وماذا عن وضع الدول النووية وغير النووية فى إطار هذه المعاهدة؟.

٢ ـ المجموعة الثانية من التساؤلات تتعلق بإسرائيل وتتمثل فى الآتى :

متى بدأ البرنامج النووى الإسرائيلى؟ وما هى التطورات الأساسية التى مر بها؟ وما هى الدول الغربية التى دعمته؟ وما هو التقييم المتاح للقدرات النووية الإسرائيلية؟ ما هى دوافع إسرائيل لامتلاك السلاح النووى وما هو الدور المناط بالقنبلة الإسرائيلية تحقيقه؟ ومن وجهة النظر الإسرائيلية : ما هى دوافع عدم الانضمام لمعاهدة منع الانتشار النووى؟ وما هى مواقف الدول العربية والمجتمع الدولى إزاء هذا البرنامج؟ وكيف يمكن مواجهته، أو على الأقل الحد من أخطاره المحتملة؟ .

٣ ـ المجموعة الثالثة من التساؤلات تتعلق بالعراق وقدراته النووية السابقة وما انتهت إليه تلك القدرات ودلالة ذلك بالنسبة لسياسات منع الانتشار النووى، وتتمثل فى الآتى :

كيف كانت بدايات البرنامج النووى العراقى؟ وما هى دوافعه؟ وما هى طبيعته (سلمية/ عسكرية)؟ وماذا كان موقف القوى الدولية والإقليمية من هذا البرنامج النووى العراقى؟ وكيف تعاملت إسرائيل مع واقع «العراق النووى»؟ وما هو أثر الغزو العراقى للكويت علي البرنامج النووي العراقي؟ وكيف بدأت وتواصلت عملية تدمير القدرات العراقية قبل وبعد ١١ سبتمبر وبعده؟ وما دلالة تلك العملية بالنسبة لسياسات منع الانتشار النووى؟ وكذلك دلالتها بالنسبة لازدواجية المعايير الغربية فى التعامل مع القضية النووية فى الشرق الأوسط؟ وما هى الدوافع الحقيقية للولايات المتحدة من وراء غزو العراق بعد أن ثبت التضليل الذى مارسته الولايات المتحدة «بشأن قدرات عراقية نووية»؟

٤ ـ المجموعة الرابعة من التساؤلات تتعلق بإيران والملف النووى الإيرانى وتتمثل فى الآتى :

كيف كانت بدايات البرنامج النووى الإيرانى، وكيف تطور من عهد الشاه إلى عهد الثورة الإيرانية؟ ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه البرنامج النووى الإيرانى، وكيف تطور أيضا عبر العهدين؟ وما هى الإستراتيجية التى تعاملت وفقا لها إسرائيل مع البرنامج النووى الإيرانى؟ وكيف كان السلوك الروسى إزاء هذا البرنامج؟ كيف أثرت أحداث ١١ سبتمبر على التعامل الأمريكى مع هذا البرنامج؟ وما هى حدود التقارب الأمريكى الإيرانى بشأن الحملة على أفغانستان؟ وما موقف إيران بشأن الغزو الأمريكى

على العراق؟ كيف تطورت أزمة الملف النووى الإيرانى بعد الحرب على العراق؟ وما هى الكيفية التى أدارت بها كل من إيران والولايات المتحدة تلك الأزمة؟ وما دور كل من الاتحاد الأوروبى وروسيا والصين فى إدارة تلك الأزمة؟ وكيف انعكس مجىء أحمدى نجاد المحافظ للحكم على تلك الأزمة؟ وكيف انعكست الحرب الإسرائيلية اللبنانية على ملف إيران النووى؟ ما هى مواطن القوة فى الموقف الإيرانى والتى جعلتها قادرة على الصمود فى مواجهة ضغوط القوة العظمى فى العالم وكذلك الضغوط الإسرائيلية؟ وهل ستستمر تلك القدرة الإيرانية على تحدى الولايات المتحدة؟ وما هى السيناريوهات المستقبلية المحتملة لتلك الأزمة؟ هل مزيد من التصعيد أم اتجاه نحو التهدئة؟ وما هو التأثير المتوقع للتفجير النووى الكورى على الملف النووى الإيرانى؟ .

٥ ـ وأخيرا تأتى المجموعة الأخيرة من التساؤلات بشأن مصر وهى تتعلق بجانبين أساسيين فى الواقع تلازما عبر العقود الخمسة الماضية محاولة إقامة برنامج نووى مصرى من ناحية، والضغط على إسرائيل للتخلى عن خيارها النووى والانضمام لمعاهدة منع الانتشار وإقامة منطقة خالية من السلاح النووى من ناحية أخرى، ومن ثم فالتساؤلات الأساسية التى تطرحها الدراسة تدور حول الآتى :

متى بدأت مصر برنامجها النووى؟ وكيف كان توجهه؟ وما هى الجهود التى بذلت فى هذا الإطار فى الخمسينيات والستينيات (الحقبة الناصرية)؟ وكيف انتهت هذه الجهود؟ وماذا كان موقف مصر من معاهدة منع الانتشار النووى؟ ما هى المحاولات التى بذلتها مصر لإعادة إحياء البرنامج النووى المصرى خلال السبعينيات والثمانينيات؟ وإلام انتهت؟ ولماذا؟ وكيف تعاملت مصر مع حقيقة امتلاك إسرائيل للسلاح النووى؟ وما هى المبادرات التى طرحتها فى هذا الإطار؟ ولماذا صدقت مصر على معاهدة منع الانتشار على الرغم من عدم انضمام إسرائيل إليها؟ وخلال التسعينيات وحتى الآن هل تغير التعامل المصرى مع القضية النووية؟ أو بمعنى آخر إلام أولت مصر اهتمامها : تطوير برنامج نووى أم العمل الدبلوماسى لمواجهة الخطر النووى الإسرائيلى؟ ولماذا؟ وما الذى دفع الحزب الوطنى على لسان رئيس لجنة السياسات به السيد جمال مبارك إلى الدعوة لإحياء البرنامج النووى المصرى خلال المؤتمر الرابع للحزب؟ هل هذه دعوة حقيقية وجادة وتستند إلى أسس مدروسة؟ أم أنها شىء آخر غير ذلك؟ وما تبرير إطلاق تلك الدعوة فى ذلك التوقيت تحديدا؟ .

في ضوء ما تقدم سوف تنقسم الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة، يتناول كل فصل منها بالدراسة والتحليل والتفسير هذه المجموعات المتقدمة من التساؤلات، فى محاولة لرسم صورة واضحة المعالم للوضع النووى فى الشرق الأوسط فى بداية الألفية الثالثة. ومن الواضح بالطبع أن تركيز الدراسة يتمحور حول الملفات النووية لكل من إسرائيل والعراق وإيران ومصر باعتبارها تجسد المعالم الأساسية فى تشكيل وتحديد المشهد والوضع النووى فى المنطقة فى الحاضر والمستقبل القريب على الأقل.

***